24

الفاجومى

الأقدى الذى أخبرنا بتنحى عبد الناصر قبل عبد الناصر

- يوم الجمعه الحزين ظهر عبد الناصر على شاشة التليفزيون كالأسد الجريح وألقى بيان التنحي.
- بعد البيان صرخت.. لا.. مستحيل.. مش ممكن.
- في نفس واحد.. هتفت الجماهير: بلادي بلادي بلادي.

obeikan.com

obeikan.com

كان أبويا المرحوم على الشمروخ أوقـات الشدايد- ومكترها- يقول لنا ياولاد ما تنزعـجوش م المصـايب. دا ربنا قبل مـا يقـدر البلا بينزل اللطف... سـبحـان الله... تقولش سبحانه وتعالى كان عارف إن كتـافنا المهدله مش حتشيل تقل البلوى فاختار بلطفه يوم الجمـعه ٩ يونيو سنه ١٩٦٧.... أهى الناس بتبقى قاعـده فى البيوت وكل منهو مستخبى فى هدومه، ودافن الوجيعه فى السكات.

طب دا إحنا يوم الخمـيس الدامى اللى هو امبارح وكـانت الرؤيه لسه ماثبـتتش.. كان حالنا حال كان كل واحد فـينا حاسس إنه عامل عامله ومكسوف يبص فى وش أخوه... دا غـير بقى اللى كـان له شاب ولا اتنين ع الجـبهه ومش عـارف لهم طريق جُرّه... وكـاتم الدمع القـيح ومش قادر يسـأل عن العزيز الغـايب وإلاّ يبقى خـاين وأنانى ومش هامه غير مصلحته الشخصيه وناسى هموم الوطن الكبير اللى هو عدم المؤاخذه م المحيط للخليج!

تعالى بـقى ليوم ثبوت الرؤيه الـلى هو يوم الجمعـه الحزينه يوم مـا وقعت البـقره كترت عليـها السكاكين... الوشوش كـانت صفرا صفار الموت والأنفـاس مكروشه وكأن الشعب المصرى كله جات له والعياذ بالله نوبه ربو أو حـاله احتضار جماعيه... وسى الراديو عمال كل خمـس دقايق يعلن عن بيان هام حيلقيه الرئيس جـمال عبد الناصر على الأمه فى تمام الساعه المش عارف كام والناس فى حيص بيص وياترى يا هلترى... وفجأه قال وجيه القاياتى لسعد الموجى:

- إلا قول لى يا بو سعده... هو عرابى برضه كان هرب؟

وانفـجـرنا بالضـحك ثواني وغـرق بعـدها صـوت الضـحك فى بحـر السكات وحاول أوزوريس الخروج بينا من جو المأساه فسأل سعد:

- لكن تفتكر يا بو سعده الصعايده حيسكتوا؟ وضحك لوحده وقال منير سويلم

وكأنه بيكلم نفسه:

- يا ترى حيقول إيه فى البيان؟

ورد عليه واحد أفندى ما أعرفوش كان قاعد يتكلم بلهجه العالمين ببواطن الأمور عن قـوه أمريكا الرهيـبه ويردد- بزهو - عـباره هيكل الشـهيـره (نحن لا نسطيع أن نناطح الولايات المتحده الأمريكيه) قال الأفندى إياه ردًا على سؤال منير:

هيستقيل طبعًا إذا كان عنده دم

دا قائد مـهزوم ياباشـا ولو كان بيـحس كان لازم ينتـحر زى هتلر.. هتلر انتـحر وموسولينى انتحر.. وحتى كليو باترا انتحرت.

اتهيألى إنى أقوم أجيب زماره زوره بسنانى لكن محمود اللبان قال:

- أنا باقول يمكن يضربهم بالذريه... دى عالم ما ينفـعش فيها غير الذُريه... مش احنا برضه عندنا الذُريه؟

وضحك أوزوريس تانى وقال له:

- طبعًا يابو حنفى... عندنا الذريه الصالحه. وقال فؤاد السبكى:

- اللى مش مفـهوم يابو سعده لغـايه دلوقتى هو موقف الاتحـاد السوفيتى. فـقال الأفندى:

- الاتحاد السوفيتى لو فتح بقه حياكل نفس العلقه.

قلت له بغيظ:

- أنت جايب العلم دا كله منين؟

ضحك وقال لى بسخريه واضحه:

- دا بعض ما عندكم.

قلت له:

- أنت جاسوس.

قال لي:

- وأنت جاهل وحمار وقليل الأدب.

رحنا قـايمين طابقين فى خناق بعض لولا إنهم حـجـزونا.. وبدون ماحـد يشعـر قمت نزلت وفـضلت ماشى من بيت وجـيه فى درب الجمـاميز لحـد ما وصلت بيت مصـطفى خال عـفاف بنتى فى غـمره... وصلت إزاى؟ مش عـارف.. توهه.. وربنا يجازى اللى كان السـبب لقيت الموضوع نفسه فى شقـه العزاب اللى مع مصطفى... العيون مطفيه والضحكه اللى كانت بتزعج الجيران ميته والحزن رامى تقله ع المكان.. وسألنى أحمد الزينى:

- إيه أخبار الجبهه؟

قلت لمصطفى:

- أنا ح أنام وصحينى قبل إذاعه البيان:

الساعه مش عـارف كام قعدنا قدام التلفـيزيون ما فيش نفس طالع.. وظهـر عبد الناصر.. الأسد الجريح... عيون الصقـر دبلانه ومكسوره واللمعان المخيف اللى كان بيشع منهـا انطفى والوش الأسمر اللى كـان بيطفح شباب وحـيويه عجـز وشاخ بين يوم وليله وكأن صاحبه طالع م القـبر يشم هوا وراجع تانى... يا خسارتك فى الحزن يا مـصر... يا عـينى عليك يا جـمال يـاللى كنت امبـارح بس عنتـر زمانك وفـارس عصرك وأوانك... يا ترى الحصان هو اللى انكسر تحتك ولا أنت اللى انكسرت فوق الحصان؟ زمان كانوا يقولوا لنا:

- الولس كسر عرابى.

واحنا من خمستاشر سنه طردنا الملك والإنجليز والبشاوات حيجينا الولس منين؟

وبدأ عبد الناصر البيان:

أيها المواطنون.. راح فين الصوت النحاسى الجهورى اللى كان بيزلزل الدنيا شرق وغرب؟ راحت فين التريقه المصريه الحراقه والابتسامه اللى كانت بتنور الضلمه حوالينا؟

القلب انكسر يا ولداه والصوت العالى بقى حشرجه وأنين طالع من قلب مجروح بينزف الكلام بدمه.

كلام كتير فى البيان عن مؤامره طلع مقاسها أوسع من تصوراتنا! وهجوم كنا منتظرينه من الشرق قام ابن اللئيمه جالنا م الغرب!!

كمان السفير السوفيتى الملحد قال لنا- أوعوا تبدأوا بالضرب يا مسلمين!!

كلام مش راكب على بعضه ولا يدخل دماغ عيل بيعملها على روحه.. ومن باب بروان العتب أعلن القائد إنه بيتحمل المسئوليه بمنتهى النبل والفروسيه قرر إنه مش لاعب وحيسلم الأمانه لزميله وصديقه زكريا محيى الدين!! وصرخت:

- يا ولاد الكاااالب... لا... مستحيل... مش ممكن، ولقيتنى واخد السلم أربعات وطالع أجرى فى شارع طه السيوفى وأنا باصرخ:

- لا... مستحيل مش ممكن.

ما كنتش عارف أنا رايح فين؟ ولا باقول لا لمين؟ ولا إيه هو اللى مستحيل واللى مش ممكن! وبدأت ودانى تصفر ومن خلال الصفافير بدأت أميز نفس الصريخ بنفس العبارات:

- لا.. مستحيل... مش ممكن.

الأول اتهيألى إن دا صدى صوتى جاى من الصحرا!! لكن صحرة إيه دى ناس طالعه من الحوارى زى الفيران اللى طالعه مذعوره من الجحور.. ناس بجلاليب وقمصان وبنطلونات ونسوان طالعه بهدوم البيت وعيال بجلاليب وبيجامات وكلهم بيجروا ويصرخوا:

- لا... مستحيل.. مش ممكن.

جريت عليهم واستخبيت فيهم وفضلنا نجرى ونصرخ وكل مانعدى على شارع جانبى ولا حاره يقابلونا ناس طالعين يجروا وينضموا لنا لحد ماوصلنا ميدان الجيش كان الميدان ترش فيه الملح ما ينزلش الأرض.. سمعت صوت جاى من ورايا وبيقول عباره غريبه لبشت جتتى ورجعت أصرخ لا... مستحيل... مش ممكن الراجل بيقول: تاه الملاح والموج غدار يامراكبيه!

وسمعنا أصوات بتقول:

- على بيت الريس فى منشيه البكرى.

واندفعت الناس فى اتجاه العباسيه...كل بلكونات شارع العباسيه تقريبًا كانت مليانه نسوان بتصوت وتلطم ورجاله بتصرخ بشكل هستيرى لكن بيقولوا عبارات مش مفهومه... مافيش جمله توحد الناس... كل واحد كان بيغنى على جرحه... ما فيش غنوه تجمع المصريين اللى طول عمرهم يغنوا! فى الفرح وفى السبوع وفى الموت وفى الحصاد وفى

الكنيسه والجامع وعلى ضهور الركايب فى البر وعلى سطوح المراكب فى النيل وفجأه وبدأ يغنى بلادى بلادى.. غريبه! النشيد دا كان ممنوع أيام الثوره باعتبار إنه بيتكلم عن مصر ومصر تعيش أنت وبقى اسمها الجمهوريه العربيه المتحده!.. متحده مع مين؟ مش مهم.. المهم ان اسمها كده وبناء عليه اتولفت أناشيد جديده تناسب المقام من ماركه ياجمال يا مثال الوطنيه وناصر كلنا بنحبك. واحنا الشعب اخترناك من قلب الشعب وياجمال يا حبيب الملايين وحاجات مالهاش أول من آخر.. كل يوم تقريبًا كنا بنسمع نشيد جديد من هذا النوع وياويلك إ ذا جت مناسبه وطنيه.. تبص تلاقى الأناشيد نازله ترف وكأن واحد دلق قفه زلط على دماغك وأنت حالق جلط.

المهم صاحبنا دا بدأ وإذ بالشارع والناس والبلكونات والشبابيك فى نفس واحد وكأنك بتسمع فرقه كورال مدربه:

بلادى بلادى بلادى

لكى حبى وفؤادى

مصر يا أم البلاد

انتى غايتى والمراد

وعلى كل العباد

كم لنيلك من أيادى

يخرب عقلك ياسيد يادرويش.. دانت أتاريك بلوى مسيحه... بقى كل الأناشيد اللى انصرف عليها دم قلب مصر واللى جندوا لها جيوش من فحول الشعرا والملحناتيه واسطوانات المغنواتيه.. كل ده يسقط فى لحظه ويضيع فى الزحام المجنون وتطلع لى أنت من قلب المظاهره بعودك الكحيان وصوتك المشروخ الأجش:

مصر ياأرض النعيم

سدتى بالمجد القديم

مقصدى دفع الغريم

وعلى الله اعتمادى

بلادى بلادى بلادى

لك حبى.. وفؤادى

أيوه أيوه ياعم الشيخ سيد يابو قلب جنينه وريشه دهب... مدد ياموال الوجه والحلم.. والموت والحيا.

مصر أنتى أغلى دره

فوق جبين الدهر غره

يابلادى عيشى حره

واسلمى من كل عادى

بلادى بلادى بلادى

لكى حبى وفؤادى

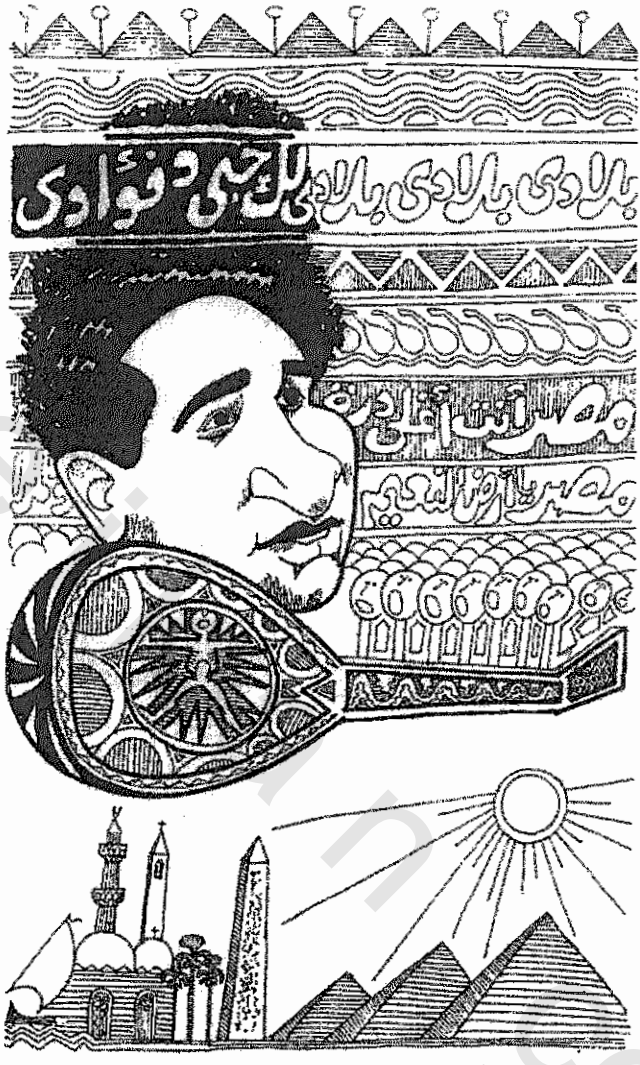

ريشة الفنان : جمعة

وصلتنى الرساله بمنتهى الوضوح وعرفت ليه أنت باقى أقوى من الموت والزمن مدد ياسيد يا اسكندرانى مدد على طول المدد.

وصلنا مشارف منشيه البكرى وإذا بالمدافع المضاده للطيارات تلهب السما بسيل من القذائف اللى كانت أصواتها بتزلزل الأرض.... لكن العجيب إن الناس ما خافوش ووقفوا يغنوا... بلادى بلادى وبعد فتره انطلقنا نجرى فى اتجاه البلد واحنا بتغنى والدنيا ضلمه لكن ونس... عمرى ما حسيت بالأمان والونس زى ما حسيتهم وأنا باجرى فى الضلمه فى وسط ناس ما اعرفهمش فى الليله المرعبه ليله ١٠ يونيو ١٩٦٧.

إيه اللى حصل تانى يوم؟ ما تسألنيش.. أنا كنت نايم سطيحه وآخر حاجه شفتها قبل ماأنام كانت المانشيت الرئيسى لجريده الأخبار- الشعب يقول لا! - غريبه! طب ما الشعب كل يوم بيقول عشرين لا والسجون والمعتقلات مليانه ناس كل جريمتهم إنهم قالوا لا... اشمعنى بقى اللا دى هى اللي جت على معدتكو ونشرتوها، ونمت وصحيت لقيت الرئيس جمال عبد الناصر رجع فى كلامه- تلبيه لنداء الشعب- وبقى رئيس من أول وجديد.. يعنى اللى فات مش محسوب!

■■■